الشيخ سليمان المدني

المعجزة والقانون وادعاءات

الاسراء والمعراج معجزتان كبيرتان من معاجز نبينا محمد (ص) وقد ورد فى شأن الاسراء قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا الكبرى) وموضع الاعجاز فى هذه الرحلة المباركة هو انها تمت ذهابا وايابا فى أقل من ليلة واحدة فى وقت لايملك البشر من وسائل السفر الا الدواب .

أما المعراج فالمقصود به صعود النبى (ص) الى السماء واطلاعه على الملكوت الاعلى فقد أكرمه الله سبحانه بحيث أوصله الى موضع من القرب منه لم يبلغه حتى المقربون من ملائكته وفى اثبات المعراج نزلت ثمانى عشرة آية هى الآيات الاولى من سورة النجم .

بقلم :
فضيلة الشيخ
سليمان المدني

ومعجزة المعراج أعظم من معجزة الاسراء وان كانت فى حد ذاتها كبيرة فهى تشترك معها فى قطع المسافات الشاسعة فى وقت جد قليل وتزيد عليها ببعد الشقة وكثرة الموانع والعقبات الطبيعية والصعوبات العملية البالغة ولذلك كثر الجدل حول هذه المعجزة حتى عند المسلمين المصدقين نبوته (ص) لان الاذهان لم تكن مهيئة لتقبل وقوع مثل هذا العمل الخارق لقوانين الطبيعة بسهولة ومن هذا الجدل ان بعض المسلمين اعتقد بأن المعراج حصل له (ص) فى النوم لا فى اليقظة وأنه رأى ملكوت السماوات فى ادرؤيا محاولا أن يوفق بين ايمانه بالقرآن الذى أثبت المعراج وبين تصوره عن الكون وهو لو شعر لادرك أنه بهذا التفسير انما يدحض المعجزة وينفى عنه (ص) هذه الكرامة لان الحلم والرؤيا لا يعز حصوله لاحد كما لا يحصل بفعل ارادى .

تفسير المتفلسفة

وحاول فريق آخر من متفلسفة الاسلام التوفيق بين حصول المعراج له (ص) فى اليقظة وبين ما عرفوه من طبيعة الافاق العليا حسب وصف الفلسفة والفلك اليونانيين فادعوا بأن المعراج هو صعود روحى وان روحه (ص) هى التى صعدت أما جسمه فقد تحلل فى اثناء الصعود الى عناصره الاولية الاربعة وانه ترك عنصرى التراب والماء فى الارض وترك عنصر الهواء فى الكرة الهوائية وترك عنصر النار فى الكرة النارية المحيطة بالغلاف الارضى وبعد أن أكمل رحلته الى الارض رجعت له هذه العناصر عند مروره بالكرات التى تركها فيها .

وبعد أن انتهى عصر الفلسفة اليورانية وزالت من الافكار تصوراتها عن الكون والطبيعة وعرف الناس طريقهم الى القمر وانكشفت لهم سبل الصعود فى الاجواء وما يكتنف ذلك من عقبات وصعوبات اخترعوا الاجهزة لتذليلها وجد أيضا من يجهد نفسه من المسلمين فى خلق تصور جديد لكيفية عروجه (ص) فذهب ينقب فى الاثار آخذا خبرا من هنا وحديثا من هناك ليصور لنا أن الرحلة النبوية المباركة لم تكن الا على غرار رحلات رواد الفضاء وان البراق ليس الا مركبة جلس فيها النبى (ص) وجبرئيل عليهما الصلاة والسلام وبذلك تذللت الصعوبات والعقبات التى تواجه الانسان وهو يجتاز الفضاء وهؤلاء الكتاب ان كانت غايتهم التمهيد للاذهان لتقبل فهم المعجزة فقد أصابوا ووفقوا وان كان سلوكهم طريقة التبرير لاقناع أنفسهم وابناء ملتهم بوقوع هذه المعجزة وتحققها فقد ضلوا سواء السبيل .

معنى المعجزة

فالمعراج كان معجزة له (ص) ومعنى المعجزة هو ايجاد أمر يعجز البشر بكل علومهم وقدراتهم عن ايجاده فأسبابه ووسائله ليست من نوع ما يتوصل اليه العلم البشرى من القوانين الكونية ويجب لكى يكون الامر معجزا أن يعجز البشر فى كل عصورهم عن تحقيق مثله بنفس

الوسائل التى تحقق بها · فمعجزةموسى عليه السلام مثلا تعجز المتخصصين فى علوم السحر ومن أجل ذلك غرف السحرة بأن ما ألقاه موسى (ع) ليس سحرا لانه لا يجرى وفق قوانين علم السحر وانه يخرج عن طاقة البشر فعل مثله فآمنوا به وصدقوه ·

ومعجزة عيسى عليه السلام من ابراء الاكمه والابرص بمجرد كلمة يقولها يعرف علماء الطب أن هذا أمر خارق للطبيعة وان علم الطب مهما تطور وامتد به الزمن فلن يحقق هذا الفعل بمثل هذه الوسيلة ·

المعجزة والقانون

والخلاصة ان المعجزات انما سميت معجزات لانها لا تسير وفق ما نعرفه من القوانين العلمية وما نكتشفه من النواميس الكونية فتخرج بذلك عن مجال قدرة البشر وطاقتهم وتكون تحديا لهم ودليلا على صدق دعوى مدعى النبوة اما الايمان بوقوع المعجزة فلن يحصل لاحد عن طريق تحليله علميا لاننا يوم

المتفلسفة

نتوصل الى معرفة تحليله ونتمكن من تحصيله بأسبابه لا يعود بالنسبة الينا معجزا بل يصير ممكنا وانما يحصل الايمان بالمعجزة من احدى طرق ثلاث هى المشاهدة والسماع المتواتر واخبار المعصوم عن الكذب ·

فبالنسبة لغير المؤمن بنبوة صاحب المعجزةيثبت له وقوعها عن طريق رؤيتها وهى تقع اذا كان من المشاهدين أو عن طريق تواتر روايتها ونقلها ومن أجل ذلك نقول انه بدون الايمان بنبوة محمد (ص) والتصديق بالقرآن يستحيلوجود دليل على نبوة الانبياء السابقين مثل موسى وعيسى وغيرهما عليهما السلام وذلك لانقطاع التواتر فى نقل معجزاتهم فى بعض الفترات فبعد مذبحة نبوخذ نصر لم يبق من بنى اسرائيل عدد كاف تتحقق به شرائط النقل المتواتر لمعاجز موسى أو غيره من أنبياء بنى اسرائيل عليهم السلام وعند ارتفاع عيسى عليه السلام لم يكنقد آمن بنبوته ونقلمعاجزه الا احد عشر شخصا على التحقيق وهو عدد لا يحقق التواتر فى النقل فمعاجز الانبياء السابقين لا تثبت لنا ثبوتا قاطعا يلزم الانسان بنبوة صاحبها الا عنطريق أخبار القرآن الكريم واثباته لها ·

ومن دراسة معاجز الانبياء تبين لنا أن معاجز كل نبى تكون من جنس العلم الغالب على عصر أمته ومن أجل ذلك تعددت معاجز نبينا (ص) وذلك لكون نبوته خاتمة النبوات وشريعته ناسخة الشرائع فكانت معجزاته من النمطالارقى الذى يتناسب مع ما سيتحقق بين البشر من المعجزات العلمية مثل الكلام عن الحقائق والقوانين الطبيعية قبلاكتشافها باكثر من الف سنة ومثل قطعة المسافات الشاسعة كما حصل فى الاسراء فى مدة وجيزة وبدون جهاز من الاجهزة التى توصل لها البشر فى هذا اليوم ومثل المعراج الذى هو من نوع ارتياد الافاق العليا للكون مع أنه يزيد عليها ويذهب عظمتها لحصوله بسهولة ويسر ومع ما نتج عنه من الاطلاع الصحيح وحصول العلم اليقينى بأحوال الملكوت الاعلى فان فى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) ومثل قوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) دليل على حصول العلوم والمعارف اليقينية للنبى (ص) فى رحلته تلك على أحوال الكواكب والعوالم التى لن يتوصل البشر الى معرفة شىء منها الا بعد ملايين السنين أو قد لا يتوصلون اليها أبدا ·

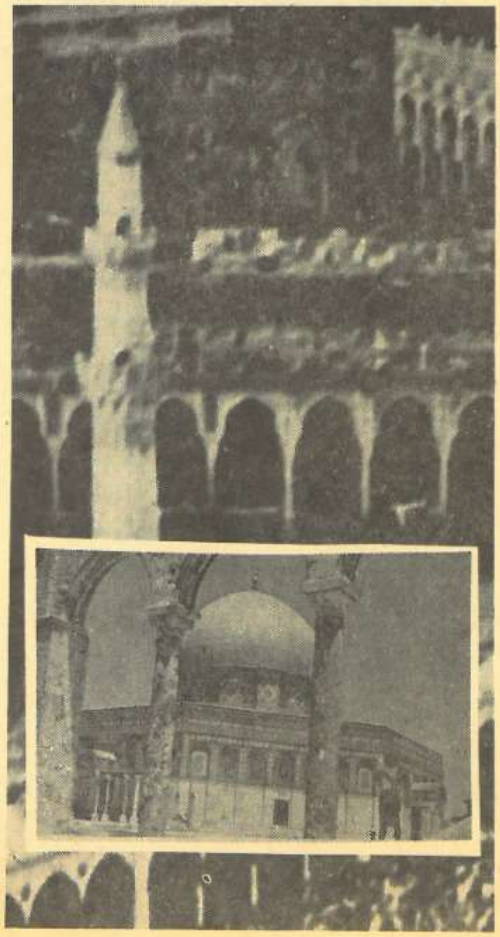

رفض التشكيك

ونرى أن حصول المعراج وثبوته بالنسبة لنا انما هو لتصديقنا بالقرآن الكريم وان كان ثبوت الاسراء يمكن أن يتحقق عن طريق النقل المتواتر فقد أخبر النبى (ص) قريشا بعد رجوعه من الرحلة الى بيت المقدس بمواضع قوافلها وبما شرد من أبلها ثم تبين الامر كما أخبرهم به ومن أجل ذلكنقول أن التشكيك فى حصول المعراج الجسمانى انما هو تشكيك فى القرآن الناطق به والمثبت له اما كيف استطاع بشر أن يصعد الى السماء من دون وسيلة علمية تقيه من الاخطار وتذلل العقبات فهذا هو سر المعجزة وان كل محاولة لتفسير ذلك وتبريره ليست الا اضاعة للوقت ·

واذا تمعنا النظر فى القرآن ونظرنا فى وصف الله سبحانه لرسوله فى مثل قوله تعالى (ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين) نعرف أن الله سبحانه قد أعطى رسوله وحبيبه هيمنة تكوينية علىكل ما فى الكون وانه أعطاه من القوة والقدرة وعلمه من الوسائل الطبيعية ما يكف به الاشياء عن ايجاد آثارها الطبيعية اذا أراد . فكونه (ص) مطاعا وفى مثل زمن نزول الاية لا يمكن حمله على الطاعة التشريعية لعلمنا بمخالفة غالبية الناس وتكذيبهم له وانما المقصود بها الطاعة التكوينية ونحن لا نستغرب من ذلك فقد علم الله البشر فى الوقت الحاضر من الوسائل ما يكفون به الاشياء والاحياء الطبيعية عن أحداث الاثار مثل قدرتهم على تعقيم الجراثيم والمكروبات ثم استخدامها لقاحا ضدبنى نوعها مع كفها عن التأثير فى الجسم الملقح بها فليس ببعيد أن له (ص) هيمنة تكوينية على سائر أجزاء الكون وهذه الهيمنة هى التى بها يتمكن الانبياء من تحقيق معاجزهم وقوله تعالى (مطاع ثم امين) فان الامانة المقصودة هنا أنه (ص) لا يعمل هذه القدرة الا اذا استوجبت ذلك مصلحة الدعوة ومن أجل ذلك نجده (ص) لا يحقق المعجزة بمجرد طلب الكفار لها بل يجيبهم بما أمره الله به (قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا) ·

واذا كنا نقول أنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بالمعراج الجسمانى كما يجب عليه الايمانبسائر المعاجز والا كان مشككا فى القرآن فلا يعنى ذلك أنه يجب التصديق بكل التفصيلات التى لم يقم عليها دليل أو قام البرهان على عدم امكانها لمجرد وجود رواية لذلك ·